السنة المطهرة وافتراءات المرجفين



(١) أبو هريرة (رضي الله عنه):
يوجه كارهو الدين الحق من معاندين ومدعين وغيرهم سهامَ تشكيكٍ في رواة السنة النبوية وأئمة الحديث الشريف بالطعن والقدح، وإثارة شبهات لهزِّ الثقة في مرويات ومصنفات تحوي صحيح الحديث الشريف.

أ. د. أحمد محمود كريمة(*)

ومن أشهر من يناله الهجوم أبو هريرة والبخاري -رضي الله عنهما- على الرغم من إحكام الرواية، وفق معطيات علمية، وسلامة عملية التصنيف العلمي وَفق قواعد علمية كلُّها -مجتمعةً- تشهد وتؤكد الدقة الفائقة في الرواية والتعلم والتعليم.

بادئ ذي بدء فإن المطاعن في راوية الإسلام أبي هريرة -رضي الله عنه- يأخذ منحى الطعن في الصحابة -رضي الله عنهم- من نفوس غير سوية لا تقف عند حدود الأدب؛ فقد زكَّى اللهُ -عز وجل- ذلكم الجيل تزكيةً متفردة ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ (التوبة: ١٠٠)، وأثنى عليهم سيدنا رسول الله ﷺ فقال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ...»(١).

ويمكن إيراد أهم المطاعن على النحو التالي:

مطاعن متعددة في شخصيته الاجتماعية تارة، والسياسية تارة أخرى، والعلمية، وهي بيت القصيد!

وإني في هذه السطور أربأ براوية الإسلام أن يكون متهمًا فيدافَع عنه، أو مُدانًا فيُعتذر عنه! كلا والله! فشخصية أبي هريرة -رضي الله عنه وأرضاه- تسمو على كل تقولات، وتخرصات، وبهتان.

زعموا أنه كان فقيرًا، وأن عمر -رضي الله عنه- عزله من ولاية البحرين عندما حاسبه ووجد معه مالًا كثيرًا! الحق أن فقره ليس عيبًا،

(*) أستاذ الشريعة الإسلامية بجامعة الأزهر الشريف بالقاهرة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين.

(١) أخرجه الشيخان عن عبد الله، البخاري، رقم: ٢٦٥٢، ومسلم، رقم: ٢٥٣٣.

فليس الغنى أو الثراء سببًا لنزاهةٍ، وليس الفقرُ سببًا لانحرافٍ، وأما (قصة) عزله، فهو الذي عَزل نفسه، وأبى الاستمرارَ؛ تفرغًا للعلم، بعدما وضح أحقيته في مالٍ حلالٍ نماه[٢].

وزعموا أن حفظه للكم الكبير في زمن قصير مَدعاة لاتهامه بوضع (الحديث)! وطعنوا في مروياته تحت مجهر (أهوائهم)، وعَشَى أبصارهم!

والحق الذي يجب المصير إليه أن الغرض من إثارة غبار التشكيك في شخصية راوية الإسلام ما هو إلا محاولات يائسة للهجوم على ذاتية السنة النبوية بهزّ الثقة في أوثق رواتها وأشهرهم! وأن دحض شبهات هؤلاء يسيرة تتضح في نصوص شرعية، وتوثيقات علمية تراثية، ومعاصرة من أهل الذكر لا من مدَّعي الفكر!

(أ) سأل أبو هريرة رسول الله ﷺ قائلًا: يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فأجابه ﷺ قائلًا: «لقد ظننتُ يا أبا هريرة ألّا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أولُ منك لِما رأيتُ من حرصك على الحديث؛ أسعدُ الناسِ بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه، أو نفسه»[٣].

(ب) أن رجلًا جاء زيدَ بن ثابت فسأله عن شيء فقال له زيد: عليك بأبي هريرة، فإنه بينما أنا وأبو هريرة وفلان في المسجد ذات يوم ندعو الله تعالى، ونذكر ربَّنا، خرج علينا رسول الله ﷺ حتى جلس إلينا، وقال: فجلس وسكتْنا، فقال: عودوا للذي كنتم فيه.

قال زيد: فدعوتُ أنا وصاحبي قبل أبي هريرة، وجعل رسول الله ﷺ يؤمِّن على دعائنا، قال: ثم دعا أبو هريرة فقال: اللهم إني أسألك مثل الذي سألك صاحباي هذان، وأسألك علمًا لا يُنسَى فقال رسول الله ﷺ: «آمين»، فقلنا: يا رسول الله، ونحن نسألك اللهَ علمًا لا يُنسَى، فقال رسول الله ﷺ: «سبقكما بها الغلام الدوسي»[٤].

(ج) أن عائشة -رضي الله عنها- دعتْ هذا الصحابي الجليل أبا هريرة، وقالت: ما هذه الأحاديث التي تبلغنا أنك تحدث بها عن النبيِّ ﷺ؟ هل سمعتَ إلا ما سمعنا، وهل رأيت إلا ما رأينا؟ فأجابها أبو هريرة قائلًا: يا أماه، إني والله ما كان يشغلني عنه شيء[٥].

وروى مالك بن أبي عامر قال: كنتُ عند طلحة بن عبيد الله فدخل عليه رجل فقال: يا أبا محمد، والله ما ندري هذا اليماني أعلم برسول الله ﷺ أم أنتم؟ تقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل، يعني أبا هريرة. فقال طلحة: والله ما يشك أنه سمع من رسول الله ﷺ ما لم نسمع، وعلم ما لم نعلم إذ كنا قومًا أغنياء

(٢) الإصابة ٧/ ٤٤٢، حلية الأولياء ١/ ٣٨٠.
(٣) صحيح البخاري ١/ ١٩٣، رقم: ٩٩.
(٤) الطبراني ٢/ ٥٤، رقم ١٢٢٨.
(٥) الحاكم ٣/ ٥٠٩.

لنا بيوت وأهلون، كنا نأتي نبي الله ﷺ طرفي النهار ثم نرجع، وكان أبو هريرة -رضي الله عنه- مسكينًا لا مال له ولا أهل ولا ولد، إنما كانت يدُه مع يد النبي ﷺ، وكان يدور معه حيثما دار، ولا نشك أنه قد علم ما لم نعلم، وسمع ما لم نسمع، ولم يتهمه أحدٌ منا أنه تقوّل على رسول الله ﷺ ما لم يقل(٦).

ودعا له رسول الله ﷺ بعدم نسيان العلم، وحدث أن شكا أبو هريرة لرسول الله ﷺ النسيان فقال: يا رسول الله إني أسمع منك حديثًا كثيرًا أنساه. فقال ﷺ له: ابسُط رداءك. يقول أبو هريرة: فبسطتُه. فغرف بيديه، ثم قال: ضُمَّه، فضممته، فما نسيتُ شيئًا بعده(٧).

ورُوي أنه جلس أمام رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: «أيكم يبسط ثوبه فيأخذ من حديثي هذا ثم يجمعه إلى صدره فإنه لم ينس شيئًا سمعه، فبسطتُ بردةً عليّ حتى فرغ من حديثه، ثم جمعتُها إلى صدري فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئًا حدَّثني به»(٨).

ودافع عن نفسه قائلًا: إن الناس يقولون: أكثرَ أبو هريرة، ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثتُ حديثًا، ثم يتلو: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (البقرة: ١٥٩، ١٦٠)، إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ بشبع بطنه، ويحضر ما لا يحضرون، ويحفظ ما لا يحفظون(٩).

وفي خلافة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- عيّن عمر أبا هريرة واليًا على منطقة (البحرين) وسار أبو هريرة إلى البحرين أميرًا عليها، وظل فترةً ثم عاد إلى المدينة، واستقبله عمرُ، وكان عمر يحاسب الولاة، فوجد معه مبلغًا كبيرًا، فقال له: من أين لك هذا؟ فقال أبو هريرة: عندي خيل تكاثرتْ وآخذ عطائي...

وأراد عمر أن يعود أبو هريرة حاكمًا للبحرين ثانية، إلا أن أبا هريرة رفض ذلك مفضِّلًا أن يقيم في المدينة يعلمُ ويُفيد(١٠).

وشنعوا على مروياتٍ أهمها حديث الشفاعة! وخبر (ذي اليدين)، وغير ذلك كثير، من محاولاتهم وسعاياتهم لإثارة الشكوك حول (الشخصية) و(النتاج العلمي) للشخصية(١١).

---

(٦) الحاكم ١٠/ ٣٣٥.

(٧) صحيح البخاري ١/ ٢١٥، رقم: ١١٩..

(٨) صحيح مسلم ٥/ ٣٦١، رقم: ٢٤٩٣.

(٩) صحيح مسلم ٥/ ٣٦٢.

(١٠) الإصابة ٧/ ٤٤٢.

(١١) من الأبحاث العلمية الجادة التي فصلت بالأدلة والشواهد والوقائع شبهات المبطلين ضد راوية الإسلام الأعظم: كتاب: دفع الشبهات عن السنة النبوية أ.د/ عبد المهدي عبد القادر، بجامعة الأزهر، وقد استفدتُ منه كثيرًا في مبحثنا هذا.